دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: الإسلام السياسي
المصدر: البحث العلمي
الناشر: جامعة محمد الخامس - المعهد الجامعي للبحث العلمي
المؤلف الرئيسي: عبدالمالك، أنور
المجلد/العدد: مج 16, ع 31
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 1980
الشهر: أكتوبر
الصفحات: 209 - 221
رقم MD: 126012
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: النظريات السياسية، الإسلام السياسي، الإسلام والسياسة، النظريات الاشتراكية، التنمية الشاملة، الأمم المتحدة، الرأسمالية، الاشتراكية، الراديكالية، التحليل السياسي، الثورات السياسية، العالم، العالم العربي، الثورة المصرية، الثورة الوطنية الإيرانية، الثورات الوطنية، الدراسات السياسية
رابط: http://search.mandumah.com/Record/126012

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الإسلام السياسي

أنور عبد المالك

I) منذ حوالي جيل * ، ادت دراسة ما يسمى « بالمجتمعات النامية » و «المجتمعات المتخلفة» والعالم الثالث ومثلث اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الى نشر عدد كبير من الدراسات في اطار من « المعاصرة » و «الثورة» . واحدثت هذه الدراسات اهتماما جديدا بالقارات الثلاث بعد أن كانت تعتبر الى ذلك الحين هامشية.

وقد كانت الصبغة العامة التي تطغى على التفكير سواء منه التحليلي او النظري هي التشاؤم والمثالية .

ولقد فتح فشل برامج التنمية الشاملة لدى الامم المتحدة ، خلال عشرة سنين، الطريق لاعادة التفكير في مشكل التنمية . وهكذا فان اهم مؤسسات الامم المتحدة كبرنامج الامم المتحدة للتنمية ومؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، وجامعة الامم المتحدة ، تسعى نحو هذا الهدف في اطار شبكات مؤسسات واختصاصيين عبر العالم . وتوجد معظمها في دول غربية راسمالية وفي أهم دول آسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا .

وقد أهمل الفكر والعمل الاشتراكي كل هذه المشاكل اعتقادا منهما ان كل شيء يدور حول مشكل الثورة واعطاء الاهمية الاولى للجانب السياسي .

الا أن هناك الكثير من العراقل والفشل في هذا الاتجاه . فمع بداية التقلبات الضخمة وموجات ثورة التحرير الوطنية والاجتماعية ، ظهر الكثير من الارتباك وسط النظريات الاشتراكية والشعور بالغربة وعدم ملاءمة المناهج النظرية ، واعتبرت

---

* ـ قدم هذا البحث في ندوة «الاشتراكية في العالم ، 1978 » .
تعريب : البحث العلمي .

الازمة الناتجة عن هذه التقلبات الهامة طبيعية نظرا لعدم احترامها للمبادىء الاصلية. ومن هنا بدأ البحث عن التصحيح ، ولكن كيف ؟

ان الجواب الذى قدم ومازال معمولا به هو الآتى : لايمكن ان يتم التصحيح الا في اطار نظرية سليمة وتشير «النظرية السليمة» الى ان طريق التنمية الاجتماعية للمجتمعات المتخلفة يوجد في قبول هذه المجتمعات للتصورات السائدة لدى مراكز السيطرة العالمية الموجودة في العالم الغربي ، اي في اوربا وأمريكا الشمالية وباختصار قبول هذه المجتمعات لاديولوجية العصر في أشكالها المختلفة حسب التصورات الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية ـ الاديولوجية لانماط المجتمعات المختلفة .

2) ان نظرية النمو الشائعة في التصورات الاشتراكية تحاول الجمع بين مستويي الحركات الوطنية التحريرية بهدف الحصول على المراحل الثلاثة في التطور التاريخي ، أي المراحل الاقطاعية والرأسمالية والاشتراكية . وهكذا فان الكفاح الوطني من أجل التحرير أو الثورة في شكلها الراديكالى والايجابي سيقوم مقام البرجوازية الديمقراطية والثورة الاشتراكية في الغرب .

ولقد لفت نظر المحللين كون هذا لم يحصل قط بدون حدوث أزمات خطيرة . ولكن جميع المحللين سواء في الاقطار الرأسمالية أو الاشتراكية اعتبروا هذا الفشل راجعا الى نقص ذاتي وتكتلات محلية وعدم قدرة القيادات الوطنية على الاقتداء بزميلاتها في الغرب .

أما هدف المحللين الاشتراكيين للتنمية فليس شيئا آخر سوى ضمان وراثة الحركات الوطنية التحريرية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية للتراث الغربي بنفس الطريقة التى تتوجه ضمنها البروليتاريا في الدول الغربية الى وراثة التراث التاريخي للبورجوازيات الغربية . وهدفهم في الدول النامية هو توزيع هذا التراث على الجماهير الشعبية خصوصا على العمال والفلاحين والطبقات الوسطى والسفلى في المناط ق الحضرية والبدوية .

3) والتصور كله معاب في أسسه بسبب عاملين اثنين :

أ) ان التشكيل التاريخي والبنية التاريخية لتطور العالم الغربي نحو الهيمنة

في التاريخ الحديث منذ القرن الخامس عشر الى مؤتمر يالطـــا ـ كانتا مبنيتين أساسا على استغلال الطبقات العاملة من طرف البورجوازية : بالاضافة اخيرا ، الى التخريب والاستغلال والتعسف والقضاء على الموارد والشعوب والاستقلال والثقافات الوطنية للحضارات والامم والمجتمعات ، خصـوصا في المشرق والقارات الثـلاث من طرف الغرب . وقد بدأت هذه العملية بتخريب المناطق المجاورة للموانىء الغربية التى تشكل مراكز للسلاح والتجارة الاوربية ، (ومنها مثلا ، المنطقة الاسلامية العربية في افريقيا الشمالية وآسيا الغربية المرتكزة على مصر منذ القرن التاسع وطـوال فترة الحروب الصليبية) . ثم انتقلت الى امريكا حيث قضي على مجتمعات الهنـود المحليين تحت شعار الصليب وبواسطة الامبراطوريتين البحريتين اسبانيا والبرتغال، فتم الاستيلاء على الكنوز الذهبية في العالم الجديد . أما الموجة الثالثة فقد حطمت خلال مدة طويلة الطاقات البشرية في افريقيا السوداء تحت ستار تجارة الرقيق ثم الموجة الرابعة والاخيرة التى وصلت الى ابعد مناطق شبه القـــارة الهندية وآسيـا الجنوبية الشرقية ثم آسيا الى أن فتحت أخيرا اليابان سنة 1856 ووضعت اتفاقية برلين التى توجت السيطرة الغربية التامة على القارات الثلاث . وهكذا تم الوصول الى تشكيل ما نسميه بالفائض التاريخي . Historical surplus value

فعلى سبيل المثال ، ان الفائض التاريخي الذى تراكم في مجموعة الدول الغربية في اطار الحضارة الغربية كان مبنيا على الاستعباد التام للقارات الثـــلاث . وان هذا التراكم الضخم هو الدفع الاول وراء المبادرة التاريخية التى ظلت في أيدي الغرب منذ عصور الاكتشافات البحرية الى انفجار القنبلة الذريـــة على هيروشيما ونازاكي . وهذا التراكم هو الذى مكن الدول الغربية من النمو السريع . في نفس الوقت الذى تتطور فيه جدلية اجتماعية محلية نتج عنها قمع الطبقات العاملة التى أصبح مركزها رغم ذلك يمتاز عن مركز البورجوازية في الدول النامية ، وهذا أمر معروف . فظروف الطبقة العاملة في الدول الغربية تتحسن بفضل الفـــائض التاريخي الذى جمعته البورجوازيات وبفضل النقابات والكفاحات السياسية من طرف القوات الاشتراكية. ولهذا لم تقم هذه الطبقات العاملة في أية دولة راسمالية غربية بثورة اشتراكية في دولتها باستثناء روسيا في سنة 1917 ويوغوسلافيا في سنة 1941 . وقد قامت ثورة أكتوبر في أكثر الدول الراسمالية تخلفا وذلك بسبب ضعـــف الجيش والدولـة القيصريين وبفضل استغلال لينين والبولشيفيين لهذا الضعف .

ب) ولخذ التطور التاريخي مظهرا آخر في القارات الثلاث ، خصوصا في آسيا وعاصمتها الحضارية الصين والعالم الاسلامي ومركزه العالم العربي . وتحتوي هذه المناطق على نسبة هائلة من السكان حيث ان آسيا وحـــدها تشتمل على 56 ٪ من الطاقة البشرية وستشكل 3/4 البشرية فيسنة 2.000 . ولقد تحملت حضارات وأمم هذه المناطق النيران والتخريب فنتج عن ذلك نهوض الحضارة الغربية . والاكثر مـن هذا ـ وهذه نقطة أساسية في نقاشنا ـ أنها استطاعت ان تتحمل جميع هذه الموجات السلبية وتحافظ في نفس الوقت على شخصيتها وخصائصها ، كما أنها استطاعت أن تواصل مسيرتها الطويلة. فمنذ بداية القرن التاسع عشر دخلت المناطق الرئيسية كمصر والهند وتركيا وايران والصين واليابان واندونيسيا والفيتنـــام في مسيرة معقدة نحو التحرر الوطني والاجتماعي . ولقد أطلق على هذه الظاهرة التى شاعت في شعور العامة والطبقة السياسية اسم ظاهرة النهضة .

ولكن العراقل كثيرة كما أن النجاح لا يـــؤخذ بعين الاعتبار . بل ان مشكل النجاح والفشل لايطرح وتستمر الغربة والهامشية .

الرياح الشرقية : المركزان

4) بعكس المأزق الذى آلت اليه الثورات في الغرب ، فقد أصبح مركز موجات الثورات والعواصف في القرن العشرين يقع في منطقة القارات الثلاث وخصوصا في الشرق : الصين ، كوريا ، الفيتنام ، لاووس ، كامبوديا ثم كـــوبا وغينيا وأخيرا أنغولا وموزمبيـــق .

ويمثل سكان هذه المناطق 5/4 من الشعوب التى تخضـــع للاشتراكية . ثـم هناك منطقة مشابهة تحتوي على حركات ودول وطنية استقلالية ووطنية رادكاليـــة ووطنية تقدمية وتشتمل هذه المنطقة على عدد كبير من الدول الاسلامية والعربية . وهناك احتمال كبير لقيام ثورات اجتماعية في دول رئيسية كمصر وايـــران ودول اسلامية في شبه القارة الهندية وآسيا الجنوبية الشرقية .

5) وأهم نقطة في هذا الميدان هو التأمل العميق في الفكـر والعمل في زمننا الحاضر وخصوصا في نطاق الاسلام ، ذلك أن المناطق الاشتراكية في آسيا تقع داخل الاهتمـــام الدولي .

لقد أصبح الآن عاديا التأمل في ثورات العالم العربي والاسلامي بطريقة سلبية أمرا عاديا ، لذلك من الضروري توضيح النقط التالية :

أ) لقد كان للثورة الوطنية المصرية وحركة الوحدة العربية التى قادها جمال عبد الناصر اثر عظيم على تحول العالم في وقتنا الحاضر . أولا قضت على حلف الدفاع بين الشرق الاوسط والامبريالية منذ مؤتمر مالطا ، ثانيا لقد كان لها اثر كبير في تشجيع وتقوية الجيش وفي توجيه الحركات الوطنية في افريقيا السوداء ، وقد ساهمت في تأسيس نظم وطنية وتقدمية في غينيا وغانا وتانزانيا . كما كـــان لها دور مهم في تنظيم حركة التضامن بين الشعوب الافريقية والاسيوية وفي تنظيم مؤتمر باندونغ التاريخي (1955) الذى قاده شوان لاي وعبد الناصر ونيهرو وسوكارنو . وهكـذا مهدت الطريق لتأسيس سياسة شاملة ايجابية وغير منحازة أدت الى حركة عـدم الانحياز التى تمتاز بمركز أساسي ومتزايد في السياسة الدولية حاليا . وهذا بفضل المشاركة الفعالة لقوات خارجية جديدة من افريقيا وآسيـــا وخصوصا يوغوسلافيا وكوبا . لقد كلفت محاصرة الناصرية ثلاثة حروب شنتهـــا الدولة الصهيونيـــة التوسعية والعنصرية . ولكن ، رغم هذا النزيف ، فان حـــرب اكتوبر 1973 التى قادتها مصر وسوريا جعلت من البترول سلاحا وأحدثت تجـــديدا في التفكير في طريقة التنمية والنشاط الاقتصادي .

وهكذا أصبح مشروع الحضارة الغربية مشكوكا فيه ، خصوصا وان الانتاج اللا محدود المعتمد على الحصول على موارد طبيعية غير محدودة عن طريق السيطـرة السياسية والرفع غير المحدود في مستوى الاستهلاك قد أصبح مرفوضا .

ب) وفيما يتعلق بالاسلام في آسيا ، فان الثورة الوطنية الايرانية التى قادها محمد مصدق قد فتحت الطريق أمام الناصرية وسياسة تأمـــين الموارد الطبيعية خصوصا منها النفط ، وأمام الجبهة الوطنية الموحدة بين مدارس الفكر المختلفة ضد السيطرة الغربية . ولقد أضرت بهذه السياسة تردد القيـــادة اليسارية في ايران خلال تلك الفترة . وكان للراديكالية الوطنية الاسلامية خـــلال الثورة الهندية في القرنين التاسع عشر والعشرين دور أساسي حيث توجد في قلب المنطقة الحركات التقدمية الهندية في بنغال الاسلامية زيادة على كيـــرالا في الجنوب . كما تطورت

الثورات في آسيا الجنوبية الشرقية حول اندونيسيا تحت قيادة سوكارنو وايديت Aidit وحصرت الامبريالية الموجات الثورية التى هـــددت المنطقة كلها بتدخلها الدموي خصوصا في ماليزيا والفيتنام . كما نرى اليوم أن أساس المعارضة الشعبية في الفيلبين تشكلها حركة اسلامية وطنية ثورية .

ج) وفي افريقيا السوداء ، توجد الدول الوطنية المستقلة والوطنية الراديكالية والوطنية التقدمية في الجزائر وتانزانيا والصومال وغينيا كمـا تحصـل تحـويلات اجتماعية أخرى في انغولا وموزمبيق واثيوبيا . ولكن رغم اهمية التحولات في هذه المنطقة ، يمكن لمس الدعم المباشر والقوي من طرف الدول الاشتراكية ، الشيء الذى يشهد على الضعف النسبي للقوى الوطنية التقدمية الى يومنا هذا .

د) ان أهم تطور حدث أخيرا هو اندماج اتجاهين في آسيا الغربية . فمن جهة ، نجد موجة التمرد الشعبي في ايران ، وهي دولة مسلحة وقوية كانت في الماضي تحت سيطرة الغرب وهو تمرد تم بقيادة الشيعة المسلمين وبرئاسة آية الله روح الله المساوي الخميني الذى نجح في توحيد جميع القـــوى المعارضة من الشيوعيين الى البرجوازية الليبرالية اليمينية ضد الدكتاتورية ، كما أن هذه الحركـة خلقت اليوم امكانية حقيقية لتغيير الحالة في آسيا جذريا (وهي منطقة حرب وسلم حاليا) .

ولقد أصبح واضحا أن نظاما وطنيا راديكاليا اسلاميا وتقـــدميا في طهران سوف يؤدى الى وضع البترول في خدمة نمو موارد البلاد لمصلحة الشعب الايراني كما ان هذه الوضعية سوف تؤدى الى تقوية قوى عدم الانحياز في العالم وتطـــويق الصهيونية في الاراضي العربية والاسلامية . ومن جهة أخرى ، فان القوى الاسلامية في الاقطار المعتدلة والمحافظة في العالم العربي حاليا قد أصبحت أكثر حذرا فيما يتعلق بتبعيتها للامبريالية الغربية وامكانية تاثيرها في مسيرة العمل الثورى في دولها . وقد دفعها هذا الوضع الى البحث عن وسائل جديدة لاعادة النظر في خطة السياسة الدولية في العالم العربي . وتعني هذه المراجعة احداث علاقات أكثر ليونة مع المعسكر الغربي حول الولايات المتحدة والمعسكر الشرقي الاشتراكي حول الاتحاد السوفياتى وقوة الصين الصاعدة ، وهكذا يصبح الربط مع جذور افريقيـا العاطفية والثقـافية والسياسية اكثر عمقا .

هـ) وفي النهاية ، يجب التفكير في طريقة جديدة فيما يخص الاسلام في الدول

الاشتراكية في آسيا ، خصوصا الصين والاتحاد السوفياتي ، وقد صدر حديثا كتاب هام نشرته أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي حول التطور الديموغرافي في هذا البلد يشير الى أنه في سنة 2.000 سيكون أكثر من 56،8 ٪ من السكان مسلمين وآسيويين في الجمهوريات السوفياتية في آسيا الوسطى وسيبيريا المجاورة للعالم الاسلامي والصين . وهذا تطور بالغ الاهمية لانه سوف يعزز نطاق التضامن بين الشعوب الافريقية والاسيوية كما أنه سيعطيها جذورا أعمق في أبرز الدول الاشتراكية في الغرب، وسيخلق ظروفا جديدة لنمو تضامن اشتراكي حتى في آسيا . وهكذا سيصبح الربط مع الصين أسهل وذلك عن طريق الشعوب الاسلامية في الصين الشرقية والجنوبية الشرقية ومع المناطق الاسلامية في شبه القارة الهندية واقطار الاتحاد السوفياتي الوسطى والغربية . وهذه نقطة أخرى أغفلها المفكرون الاشتراكيون بينما لفتت نظر المحللين السياسيين في الغرب والشرق بطريقة متزايدة .

و) وفي النهاية ، يجب أن نلح على أن ابرز موارد الطاقة في وقتنا الحاضر وخصوصا النفط ، توجد في المناطق الاسلامية ـ في العالم العربي وايران واندونيسيا.

6) وهكذا أصبح نهوض الاسلام السياسي في عصرنا يأخذ شكل قوة ديناميكية تطورية لدى الجماهير في المدن والقرى في جميع المناطق الاسلامية ، من شواطىء المحيط بالمغرب الى بحور الصين في جنوب الفيلبين ، وتقع هذه المناطق حيث تواجه المعسكرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاديولوجية بعضها بعضا ، خصوصا المعسكر الاشتراكي السوفياتي والامبريالية الغربية . كما أن هذه المنطقة تقع حيث تلتقي وتصطدم حضارات الشرق والغرب ، بينما انطلقت منها الحملة الصليبية في أول دفعة استعمارية وامبريالية ، وتأسس الحصن الصهيوني الذى يقيم علاقات مع جنوب افريقيا العنصرية في محاولة التطويق والسيطرة على كل القارة الافريقية ، التى يقودها الاسلام ، لهذا فان مصير الحرب والسلم في عصرنا لا تقرره آسيا الجنوبية الشرقية أو أمريكا اللاتينية بل تقررها قوة الاسلام السياسي في آسيا الغربية وافريقيا الشمالية وشرق البحر الابيض المتوسط .

ولهذا يجب اعتبار الاسلام السياسى في عصرنا بدقة لفهم البعدين الآتيين :

أ) يقع بعد الحرب والسلام الآن في منطقة يسكنها حوالي 800 مليون نسمة .

ب) ان فهم اتجاهات الثورة الاجتماعية نحو الشعوبية والاشتراكية موجه الى تكميل أهم الثورات الاشتراكية في أهم مناطق آسيا ، وفي المناطق الاسلامية حيث تواجه الامبريالية والصهيونية . ويجب فهم نقطة اساسية وهي أن ذلك ليس الا رد فعل للفائض التاريخي ففي هذه المناطق تشعر الدول بعمق بالنتائج السلبية التى تفرضها عليها الهيمنة خصوصا الفلاحين والعمال وحتى البورجوازية الصغيرة والبورجوازيات الوطنية المحيطة بالجيش . وهذه الدول غير قادرة على المحافظة على المجتمع وتركيباته المناسبة في الميدان الاقتصادى والثقافي والسياسي الى درجة أن هناك جبهة وطنية موحدة في هذه الدول تحرك أغلبية المجتمع ضد الامبريالية والهيمنة .

الاسلام في الفكر الوطني التقدمي

لقد اخذنا ثلاثة مستويات لمعالجة هذا الموضوع :

7) الموقف الاول ، وهو سياسي واستراتيجي أو تكتيكي ، هو الذي تعود عليه الاشتراكيون في الغرب ومقلدوهم في عدة قطاعات من الحركات الاشتراكية في الشرق . ويعتمد هذا الموقف على احتمال ان العامل الرئيسي في الحركة التقدمية الوطنية بالمشرق هو البروليتاريا لهادفة الى خلق دولة وطنية ديمقراطية والتى ستخلفها ديمقراطية شعبية على نمط دول أوربا الشرقية . وان هذا التصور كثيرا ما يهمل واقع التحولات الاجتماعية في مجتمعات القارات الثلاثة الى درجة أنهم يتحدثون عن انتصار الماركسية اللينينية وأحزاب البروليتاريا في دول يمتاز فيها قطاع الطبقة العاملة بضعف شديد ، والاحرى اذا اعتبرنا ضعف البروليتاريا في دول مثل أنغولا وموزمبيق ، اذن هناك حاجة ملحة الى توسيع الجبهات الوطنية والشعبية ، ولنتذكر ان المسلمين يشكلون الاغلبية في دول منطقة الحضارة الاسلامية وأحيانا نجد أن الشعب في بعض الدول كله مسلما ، فالشعار المستعمل هو كما يلي :

يجب على القوات التقدمية أن تتحالف مع فئات الجماهير الشعبية الاسلامية ضد الفئات الاسلامية المحافظة والرجعية . ويجب اعطاء هذا التحالف حق حرية الاعتقاد وحق ممارسة الدين وحق تعليم الدين خصوصا في المؤسسات الدينية . وحق استعمال اللغة الوطنية المرتبطة بالاسلام ، أي اللغة العربية . وبعد ذلك

يجب ء لى الجماهير التقدمية الاسلامية أن تبني محلها السياسي على خـــط سياسي تحدده الجبهات الوطنية والشعبيـــة ، وهي أساسا تصورات الاشتراكية الغربية وكثيرها ماركسي واغلبها يحتوي على الفلسفة الماديـة كفلسفة الالحـــاد ومشروع الحضارة الغربية التي تتمحور على سلسلة من التشكيلات الاجتمـاعية والاقتصادية واديولوجية التقدم . وقد ادى هذا النهج في معالجة الاسلام السياسي الى الفشل خصوصا في ايران ومصر والجزائر والعراق واندونيسيا والباكستان . ثـم أصبـح البحث عن التفسير في اطار عجز بنية الاسلام السياسي ولم يطـــرح قط العجز في الفكر الاشتراكي في هذه الدول . اذن يجب اصـــلاح الاسلام السياسي ، بدلا من التساؤلات الاشتراكية وفي الحقيقة يعبر هذا الموقف عن تقليد موقف الماركسيين الغربيين اتجاه الكاثوليكية في دولهم وهكذا يتجاهلون الفوارق التاريخية البنيوية بين تطور الفكر والعمل التقدميين في أوربا وفي الشرق .

ولكن ما ذا يحصل عندما يأتي الرفض من الجماهير ؟ اذا حصل هذا ، فان الحل الوحيد هو تهميش الدول الاسلامية واعتبارها غير طبيعيـة ولا تاريخيـــة . ويجب تجنبها بتطويق المناطق الاسلامية عن طريق قواعد عسكرية وسياسية والانتظار من هذه الضغوط ان تؤدى الى الانفجار خصوصا بواسطـة استنزاف القـــوى الوطنية واستمرارية مشاكل النمو الاقتصادى والاجتماعي وعن طريق حالة لا حرب ولا سلم في العالم العربي والاسلامي التي يفرضها العدوان العسكري والتوسعي للدولة الصهيونية وهكذا نجد الحالة في المنطقة تتصف بتورط وتخلف وكثرة الضغوط .

8) وقد حاول المنهج النظري معالجة هذا المأزق وعلى الخصوص تحليل العناصر التقدمية في الاسلام لتندمج تدريجيا في تصور وطني للفكر التقدمي وانماط النشاط الاشتراكى ذي الاصل الغربي ، ونعني بالعناصر التقدمية فى الاسلام ما يلي :

حالات التعريف بالشخصيات الاسلامية البارزة والروايات المتحدثة عن كفاحات الشعوب ضد الطغاة والعدل الاجتماعي ضد الفوارق ، والاخوة بين الجماعات المختلفة والدول في نطاق الامة الاسلامية ، وتوجد هذه الخصائص في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نفسه وفي الخلفاء الراشدين وفي شخصيات أخرى كأبي زيـــد الجعفري وحتى فى شخصيات حديثة رغم ان القرنين التاسع عشر والعشرين لا يتوفران على شخصيات في هذا المستوى بالنسبة للمفكرين التقدميين في الغـرب ومقلديهم في

الشرق . ونجد هنا نفس الطريقة في التفكير التى نجدها عند المسيحيين في الغرب ، ومن أهم النقط التى يجب ابرازها ، ان الاسلام لايصلح الا في نطاق اديولوجية التقدم حيث انه يعطينا بعض العناصر الخاصة . ولكن لا يمكن للاسلام ان يكون مهما في اعادة النظر في عمق الفلسفة الاجتماعية . وان هذا النمط استمر ولازال مستمرا رغم نتائجه السلبية وذلك لان معظم لجماهير الشعبية تجد نفسها غريبة عـــن التقاليد الثقافية والحضارية التى تنبثق اصولها من حضارة غير حضارتنا ولكن رغم هذا فان الاتجاه الثاني أكثر أهمية من الاول لانه يهتم بتقاليد وطنية وثقافية خاصة بالشرق.

9) هناك موقف ثالث وهو الموقف الحضاري المتعلق بمشكل الاسلام السياسي وعلاقته بالثورة الوطنية والثورة الاجتماعية . ويهتم عدد من المنظرين في المنطقـــة الاسلامية بهذا المشكل وذلك باتفاق الغربيين او بسخطهم . ويجب وضع مجهوداتهم في قلب الفكر الاشتراكي في عصرنا الحاضر . ومن أهم اتجاهات تطور الفكر الوطني التقدمي في الشرق ما ياتي :

أ) ان الاسلام من الديانات السماوية الثلاثة ، وان تركيب الاسلام التاريخي منذ القرن الثاني الهجرى (التاسع الميلادى) كان تركيب حضارة عالميـة تمتد من بواتي Poitier والاندلس الى شواطيء آسيا فشملت ثقافات مختلفة واوطان ومجموعات سلالية ethnic من اوربا الجنوبية وافريقيا الشمالية والوسطى والشرقية وآسيا الوسطى والجنوبية الى آسيا الجنوبية آلشرقية . أما الدائرة العـــربية الاسلامية القريبة من شواطيء اوربا ، فكانت موضع موجة من الاحتلالات أخذت شكل الصليبية بين القرن التاسع والخامس عشر . ولمواجهة الحملات الصليبية ، وجدت شعـوب ومجتمعات هذه المناطق في الاسلام فلسفة ودينا ونظاما سياسيا ، فاصبح الاسلام ثقافة تستخدم ضد تعسف السيطرة الغربية من أجل استمـرار المجتمعات الـــوطنية والمحافظة على شخصيتها الثقافية . وهكذا أصبح الاسلام يلعب دورا مهما كفلسفة شاملة استطاعت المحافظة على وجود المجتمعات الوطنية في المنطقة طوال عدة قرون ابتداء من القرن التاسع الى القرن العشرين . ومواجهة الصليبية ثـــم الصهيونية والامبريالية العنصرية خلال عهد الاستعمار والامبريالية الكلاسيكيـــة . فنجد ان الاسلام يختلف في جوهره عن الديانـــات الاخرى العظمـــى ، خصوصا المسيحية واليهودية اللتان وقفتا دائما بجانب السيطرة العنصريـة والعدوان ضد المناطـق

العربية والاسلامية . فاخذ الاسلام طابعا سياسيا وثقافيا خاصا به . وفي الميدان السياسي ، كان الاسلام السياسي هو المحافظ على الاستقلال الوطنى .

ب) وهناك جانب ثاني بالغ الاهمية يجب مناقشته :

ان تعليم الاسلام مرتبط باهم وحدة وطنية وهي الأمة الاسلامية (مجموعة المؤمنين بالدين الجديد الذى يشمل ثقافات وأوطان ومجتمعات ومجموعات في اطار الاسلام ، وهكذا فان تصور الجدلية الاجتماعية من نشأتها الى يومنا هذا ، كان دائما موحدا ثقافيا ووطنيا ضد تفرقة تصور الصراع الطبقي وضد تفرقة الحروب الوطنية السائدة في الغرب المسيحي . وقد برز اثر هذه التقاليد الوحدوية العميقة بقوة في تشكيل بنية الجبهات الوطنية الموحدة في الشرق التى تواجه الهيمنة الغربية والامبريالية الى يومنا هذا . فلنكتف بذكر تاريخ جبهة التحرير الوطني في الجزائر والناصرية في مصر والجبهة الوطنية في ايران خلال عهد مصدق والخميني حاليا والوحدة الوطنية تحت سوكارنو ، وتصور سيكوتوري لدولة الشعب في غينيا وأواوما في تانزانيا الخ . هناك طبعا وجود للصراع الطبقى داخل المجتمعات الاسلامية ولكن نظرا لتاثير الفائض التاريخي يمكن تحريك اغلبية الشعب على أساس مصالحها المشتركة ، أي أسسه الوطنية التي تشتمل على أغلبية الطبقات والمجموعات الاجتماعية واهم الاتجاهات الفكرية ضد هيمنة الامبريالية الغربية . وقد نتج عن هذا بروز الخطة الجبهوية في الدول الاسلامية في مقابل منهجية التفرقة الطبقية لدى البروليتاريا الغربية .

ج) ولهذا يبدو الاسلام كتصور اجتماعي للأمن الوطني والتطور الاجتماعي والتقدم الشعبي أكثر منه كدين في حد ذاته ، وان هذا الطابق الشامل للدين الاسلامي قد ادى الى خلق حالة لا مكان فيها لاية فلسفة سياسية اخرى ، سواء كانت فلسفة اجتماعية ليبرالية أو فلسفة البورجوازية الوطنية او فلسفة الماركسية الغربية . ولذا ، يجب ان ينبثق تطور الفكر الوطني التقدمي من الاطار السياسي والحضاري للاسلام . وهذا يعني أساسا ، أنه لا يجب اعتبار الاسلام السياسي والحضاري كمنبع يمكن ضم بعض عناصره الى الاديولوجية التقدمية «السليمة» سواء كانت ماركسية أو أية اديولوجية اشتراكية أخرى . بل ان الاسلام السياسي والحضارى يشكل الاطار العام الذى يمدنا بالعناصر اللازمة لتشكيل بنية الفكر

الوطني التقدمي . وهذه العناصر كثيرة في التاريخ الاسلامي .

د) ان الاسلام السياسي والحضاري لا يتجاوز نطـــاق التعاليم الاسلامية . وسبب هذا ان فكرة الامة الاسلامية تشمل جميع الحضارات والثقافات الراسخة في هذه الاراضي فيما قبل الوحي الاسلامي . فعلى سبيـــل المثـــال ، نجد أن الاسلام السياسي والثقافي في مصر يشمل تراث الحضارة المصرية القديمة في عهد الفراعنة وعهد الاقباط المسيحيين . وهكذا فان الوحدة الوطنية الحالية في مصر ليست ظاهرة عرضية راجعة الى نجاح تكتيك حزب الوفد او جمال عبد الناصر ، ولكنها تعبر عن الخاصيات الوطنية المصرية التى تكونت عبر التاريخ والتى تعبر عن نفسها فيإطار الاسلام السياسي في شكله المعاصر .

هـ) ان اثر هذه الظاهرة على تطور الفكر الوطني التقدمي ـ سواء في العـــالم الاسلامي أو في العالم عامة ـ عظيمة جدا . وفيما يتعلق بفكرة الجدلية الاجتماعية ، بدلا من التركيز على التفرقة والاصطدامات المدنيـــة التى أدت الى مأزق الثـــورة الاشتراكية فيالغرب ، باستثناء روسيا ويوغوسلافيا ، فيمكـــن تعويضها تدريجيا بتخطيط وتكتيك الجبهات بانسانية وفعالية ، ولا نعني الجبهات الشعبيـــة المرتبطة بفكرة الحرب الاهلية ، بل الجبهات الوطنية المتحدة التى تستطيع ان تحرك اغلبية المجتمع الوطني في سبيل تغيـــير التركيب الاسفـــل والاعلى لتتخذ الطريق نحـو الاشتراكية . وهذا ما يقدم حاليا الحزب الشيوعي الايطالي تحت اسـم « التراضي التاريخى » . ولا يمكن للاشتراكية ان تتقدم الى الامام في المستقبل الا على هـذه الخطـــوط .

و) بل أكثر من هذا ، يمكن لتركيب الفكر الـوطني التقـــدمي أن يتغلب على المأزق المنبثق عن المشروع الحضاري الغربي في الوقت الذى ستصبح فيه المـوارد محدودة على المستوى العالمي وعندما سيستحيل على الانسان ان يستمر في استهلاك الموارد وتمجيد المكاسب ، مؤديا بذلك مباشرة الى الحروب والتعسف والعنـــف . وهكذا ربما سيمنع الغرب حلا لازمته الحضارية التى تؤذى عقول ونفوس الجيـــل الصاعد في الغرب ، وبتطوير وتوسيع الفكر الوطني التقدمي ، سيكـــون للاسلام السياسي دور أساسي وديناميكي للاسباب التى سبق لنا ان تطرقنا اليها .

ز) سيكون للاسلام السياسي هذا الدور ليس فقط لعناصره التحليلية بـــل

لانه ينفرد كوحدة من الفكر السياسي والثقافي والاجتماعي الذى يربط بين الشرق والغرب ، وتبدو هنا المسيحية كالفلسفة الرائدة في الغرب بينمـــا تعتبر البوذية كفلسفة آسيا ، فالاسلام وحده يشمل عدة حضارات وثقافات في وقتنا الحاضر . ومن هنا تنبثق حيويته في الميدان العملي كما شاهدنا خلال القرنين الاخيرين .

ن) لا تختلف الجوانب السلبية في الاسلام السياسي عن الجوانب السلبية في أية فلسفة أخرى في وقتنا الحاضر سواء في المسيحية او الماركسية او الليبرلية أو البوذية أو اليهودية أو رأسمالية الدولة . وتتعلـــق العناصر السلبيـــة بجوانب الفلسفات والاديان والايديولوجيات التى لاتأخذ الحركات الاجتماعية بعين الاعتبار وتفضل عوضا عن ذلك اتخاذ مواقف بدائية للمحافظة على مكاسبها العقائدية وليس هناك مشكلا خاصا يمكن اعتباره هنا ، بل اثبتت الدول الاسلاميـــة على أنها قادرة على التقدم نحو ا لمعاصرة الى درجة أن عملها خصوصا عن طريق الناصرية وحرب أكتوبر أدى الى رد فعل وخطة هجومية شاملة من طرف الغرب وهكذا نجد ان الغرب يواجه تقدم العالم الاسلامي والعربي ويحطم وحدته ويفرض حكاما خاضعين لثقافته وذلك باستعمال النفط والحركة الوطنية الراديكالية واضعاف معنـــويات الجماهير الشعبية بوسائل مختلفة . ولكن رغم هذا ، لا يمكن وقف اتجاه الاسلام السياسي وأمـــواج التاريـــخ .

فيجب على جميع القوى الاشتراكية في العالم ان تفهم اهمية الاسلام السياسي فهما جيدا وأن تتأمل في دوره في اعادة تنظيم الفكر الوطني التقدمى في وقتنا الحاضر اذا أرادت البحث عن الوسائل الكفيلة بالقضاء على التعسف والامبريالية والسيطرة الاجنبية وخلق عالم تريد الاشتراكية فيه تأسيس نظام يعتبر الخصائص الوطنية الثقافية ويمكن الانسانية من دمج الجوانب الايجابية من خصائصها ، نحو خلـــق عالـــم انساني .

تعريب : البحث العلمي